

الإضافة وأثرها في المعنى

آيات العقيدة أنموذجا

Addition and its effect on meaning

Verses of the doctrine as an example

د. محمد ساردي

جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة (الجزائر)

مخبر المرجعيات الفلسفية والفنية للتفكير البلاغي والنقدي في الجزائر من الفتح إلى الاستعمار

m.sardi@univ-alger.dz

تاريخ الاستلام: 2024/01/08 تاريخ القبول: 2024/06/24 تاريخ النشر: 2024/09/30

ملخص:

إن الهدف من هذه الدراسة ضبط مفهوم الإضافة في القرآن الكريم، وكذا النظر في كونها ضابطا من ضوابط استنباط الأحكام ومناقشة ذلك، مستعينا في هذا بالمنهج الوصفي التحليلي للوقوف على حكم الإضافة في استنباط الأحكام، بين القبول والرفض، لأن المسألة تتعلق بكتاب الله تعالى وفهم معانيه واستنباط الأحكام منه، إذ يعتبر القرآن الكريم المصدر الأول في استنباط الأحكام بنوعها العلمية منها والعملية، ولما كان نزول القرآن الكريم باللسان العربي، كان لكل مدرسة قواعد في التعامل مع نصوصه في الاستنباط، من بين هذه القواعد التي اعتمدها بعض المفسرين وعلماء العقيدة في استنباط الأحكام العقيدة بالخصوص "الإضافة"، خاصة في باب الصفات، فقد استنبط بعض العلماء من قوله تعالى {يد الله فوق أيديهم} [الفتح:10] على سبيل المثال، أن لله تعالى صفة هي اليد، ثم اختلفوا فمنهم من رأى أنها صفة معنوية، ومنهم من قال بل هي صفة عينية، فكان الإشكال المراد الإجابة عنه، في هذا البحث هل الإضافة ضابط قوي لأن يُستنبط منه حكم عقدي؟، أم هي ضعيفة لا ترقى لذلك، وعلى القول بأنها ضابط معتمد تبني عليه مباحث العقيدة، ما الذي يترتب على هذا الضابط؟ وبعد الدراسة والتحليل تبين أن الإضافة ضعيفة لا ترقى لأن يستنبط منها حكم عقدي، للاحتتمالات التي تعتمدها، كما بينت الدراسة خطأ من اعتبر هذه الإضافات من الصفات، لا من الصفات المعنوية، إذ اللغة لا تسعف على ذلك، ولا من الصفات العينية لخطورة لوازم التجسيم والتشبيه والتركيب.

الكلمات المفتاحية: الإضافة، التفسير، الصفات، العقيدة.

Abstract:

The aim of this study is to define the concept of "addition" in the Quran and examine its role as a determinant in deriving rulings. The analytical and descriptive method is used to determine the ruling of "addition" in deriving rulings, whether it is accepted or rejected. This is because the issue relates to the book of Allah and understanding its meanings and deriving rulings from it. The Quran is considered the primary source for deriving rulings in both the scientific and practical aspects. Since the Quran was revealed in the Arabic language, each school had rules for dealing with its texts in derivation. One of these rules, which some interpreters and scholars of creed adopted in deriving creed-related rulings, is "addition," especially in the context of attributes. For example, some scholars derived from the verse "The hand of Allah is over their hands" [Al-Fath: 10] that Allah has the attribute of a hand. However, they differed on whether it is a metaphysical attribute or a physical attribute. The question to be answered in this research is whether "addition" is a strong determinant for deriving creed-related rulings ? Or it is weak and does not reach that level. After studying and analyzing, it became clear that "addition" is weak and cannot be used to derive creed-related rulings due to the possibilities it entails. The study also shows the error of considering these additions as attributes, whether metaphysical or physical, as the language does not support that, and it is also dangerous due to anthropomorphism, analogy, and composition .

Keywords: Addition, Interpretation, Attributes, Creed .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده؛ وبعد:

فإن في القرآن الكريم آيات عدها البعض من المتشابهات، منها الآيات التي تعنى بما اصطلح عليه بالصفات الخبرية، كالوجه واليد والساق وما إلى ذلك، مما أطلق عليها أيضا اسم الصفات التي هي فينا أبعاض¹

ولقد كان من بين الأدلة على أنها صفات لله تعالى الإضافة، بل قد تكون هي المرتكز الوحيد والدليل الأقوى عند من يثبت لله تعالى هذه الأبعاض، فكثيرا ما يقولون: إذا لم تكن هذه الإضافات صفات فلماذا أضافها الله إلى ذاته؟، إذ كيف يضيف الله تعالى لنفسه شيئا لا يعتبر صفة، بمعنى أنه لو كان محظورا فكيف يضيفه إلى نفسه!

فهذا ابن تيمية رحمه الله تعالى يفرق بين الإضافة القائمة بنفسها كقوله تعالى: يَبْتَ² اللَّهُ نَاقَةَ اللَّهِ، و﴿عِبَادُ اللَّهِ﴾، بل وكذلك: رُوحُ اللَّهِ³ فهي عنده ليست صفات لله تعالى أما إذا أضيف إليه ما هو صفة له وليس صفة لغيره مثل كلام الله، وعلم الله، ويد الله، ونحو ذلك؛ كان صفة له.⁴

فيرد عليهم من لم يثبت لله تعالى هذه الأبعاض من باقي المذاهب العقيدة من معتزلة وأشاعرة وماتريدية وغيرهم: بأنها مجرد إضافات، لا فرق بينها وبين الأولى، فلا ترقى لأن يستنبط منها صفة لله تعالى. أما كون العلم صفة، والسع صفة ليس من باب الإضافة إنما من باب الوصف، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة، 181] قال ابن الجوزي: "وقد وقع غلط المصنفين الذين ذكرتهم في سبعة أوجه: أحدها: أنهم سموا الأخبار أخبار صفات،

¹ ينظر العثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد، 1/ 90، وكذا العثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد، المصدر نفسه، 188/2

² وردت بالإضافة إلى ضمير المتكلم كقوله تعالى: ﴿وَعَهْدًا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهْرًا بَيْنِي لِبَنِي إِسْمَاعِيلَ وَالْعَبِيدِينَ وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ﴾ [البقرة: 125]

³ وردت بالإضافة إلى ضمير المتكلم كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَجِدِينَ﴾ [الحجر: 29]

⁴ ينظر ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، مج 4/ 415-416.

وإنما هي إضافات، وليس كل مضاف صفة، فإنه قال سبحانه وتعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: 29].¹

من هنا اكتست الإضافة أهمية أهلها لأن تدرس في هذا الباب بالخصوص.

إشكالية البحث: تمحورت إشكالية البحث على الآتي:

ما هو حد الإضافة، وما حد الصفة، وهل ترقى الإضافة لأن يعتمد عليها في إثبات صفة لله تعالى في القرآن الكريم؟ ثم إذا اعتمد عليها في إثباتها صفات لله تعالى ما الذي يترتب على ذلك؟

المنهج المتبع: كان اعتمادي على المنهج الوصفي التحليلي، أصف ما قاله العلماء في جزئيات هذا الموضوع، ثم أقوم بتحليلها ومناقشتها محاولة مني للخروج بجواب كاف شاف على التساؤل المطروح في إشكالية هذا البحث آنفة الذكر.

خطة البحث: وللإجابة على هذا الإشكال، وبعد جمع مادة البحث، رأيت أن تكون خطته كالآتي:

مقدمة ومبحثان وخاتمة.

فالمقدمة: أمهد فيها للموضوع، مع ذكر أهميته، لأعرج على الأهداف المتوخاة من هذا البحث. والمنهج المتبع، كما أذكر فيه إشكالية البحث وبناء خطة للإجابة عن هذا الإشكال، **المبحث الأول:** الإضافة تعريفها، أقسامها، دواعي التعريف بها وضابطها: أذكر فيه تعريف الإضافة في اللغة والاصطلاح؛ إذ الحكم على الشيء فرع عن تصوره؛ وما يقدم طبعا يقدم وضعاً؛ كما قال الأصوليون² كما أذكر أقسامها، وكذا دواعي تعريف النكرة بها. ثم أختتم المبحث بذكر ضابط الإضافة عند العرب إن وجد.

المبحث الثاني: الصفات الخبرية. أذكر فيه من أثبت هذه الإضافات على أنها صفات معنوية، ثم أثني بمن أثبتها على أنها صفات عينية، ثم أناقش القولين معا وخاتمة: أذكر فيها ما توصلت إليه في بحثي هذا.

¹ ينظر ابن الجوزي، دفع شبه التشبي، ص 104.

² ينظر القرافي، شرح تنقيح الفصول، ص 4.

المبحث الأول: الإضافة، تعريفها، أقسامها، دواعي التعريف بها، وضابطها

تُذكر الإضافة في كتب النحو تحت باب المجرورات من الأسماء "ذكرها ابن مالك في ألفيته تحت النوع الثاني من نوعي الاسم المجرور إذ الاسم المجرور: إما بحروف الجر أو بالإنضافة أو بالتبعية".¹

المطلب الأول: تعريف الإضافة لغة واصطلاحاً

أولاً- تعريف الإضافة لغة :

للإضافة في اللغة ثلاثة معاني:

- 1- الدنو: جاء في الحديث نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الصَّلَاةِ إِذَا تَضَيَّقَتِ الشَّمْسُ² أي إذا اقتربت ودنت ومالت للغروب⁴ ومنه سمي الضيف ضيفاً إذا نزل به ومال إليه⁵.
- 2- الميل⁶: قال امرؤ القيس:
فلما دَخَلْنَاهُ أَضْفَنَّا ظُهُورَنَا إِلَى كُلِّ حَارِيٍّ قَشِيبٍ مُشْطَبٍ⁷
أي لما دخلنا هذا البيت أملنا ظهورنا وأسندناها إلى كل رجل مشطب فيه خطوط وطرائق كمدارج النمل، حاريٍّ، أي منسوب إلى الحيرة⁸.
- 3- النسبة: "أي نسبة أمر إلى أمر"¹⁰ وهو المراد في هذا البحث.

¹ ينظر أبو فارس الدحداح، شرح ألفية ابن مالك، ص 240.

² أخرجه أحمد بن عبد الله الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، 2/ 424.

³ ينظر ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، 230/8.

⁴ ينظر الفراهيدي، كتاب العين، 3/ 32. مادة (ض ي ف)

⁵ المصدر نفسه، 3/ 32.

⁶ ابن سيده، المخصص، 9/ 24.

⁷ ديوان امرؤ القيس، ص 53.

⁸ ديوان النابغة الذبياني، ص 13. والبيت كاملاً: والأُدْمُ قد خُيِّت- فلا تَلَأْ مرافقها مشدودةً برجال الحيرة الجُدد

⁹ ينظر المصدر نفسه، ص 53.

¹⁰ ينظر عبد النبي الأحمد نكري- دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، 1/ 91.

ثانيا- تعريف الإضافة في الاصطلاح النحاة:

الإضافة عندهم: "امتزاج اسمين على وجه يفيد تعريفاً أو تخصيصاً"¹ مثال التعريف: غلام زيد، لما كان زيد معرفة عَرَفَ الغلام، ومثال التخصيص: غلام امرأة، لما كانت المرأة نكرة، لم تعرف الغلام إنما خصصته فقط.

فهي مجرد اتصال اسمين بعضهما ببعض يكون المضاف إليه عوضاً عن التنوين في المضاف، تقول: جاء معلّم العلوم، (معلم) مضاف، و(العلوم) مضاف إليه، فقبل الإضافة كانت جاء معلّم بالتنوين، فلما أضفنا (العلوم) حذفنا التنوين من (معلم).

وبدلاً من أن تقول: جاء معلّم للعلوم، حذفنا حرف الجر من للعلوم وأضفت العلوم للمعلم، وهذا معنى قولهم: الإضافة هي اتصال الاسمين بحيث يكون الأول (المضاف) عوضاً أي مسقطاً لحرف الجر والثاني (المضاف إليه) عوضاً عن التنوين²

ف (امتزاج اسمين)، أو (اتصال اسمين)؛ معناه: أنه ليس بين الاسمين إسناد تامّ كما هي الحال في الإسناد بين الفعل والفاعل أو بين المبتدأ والخبر؛ ففي الإضافة النسبة تقييدية، أي تقييد لفظ بلفظ فقط.

مثاله: تقيدنا (غلام) ب (زيد) في قولنا: غلام زيد، فغلام: مبهم؛ لأنه نكرة شائعة في جنسها، فإذا قلنا: غلام زيد، قيدناه فقط، ولم نحكم عليه، فليسنا أمام مسند ومسند إليه كما يقول النحويون أو أمام قضية فيها موضوع وحمول كما يقول المناطقة كأن تقول: الطالب مجتهد، نعم هنا أعطينا حكماً بإسنادنا المبتدأ للخبر، وحكمنا بأن الطالب مجتهد، والحديث عن أقسام الإضافة سيجلي الموضوع أكثر.

¹ ينظر الجرجاني، معجم التعريفات، ص 27.

² ينظر عبد النبي الأحمد نكري- دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، 91/1.

المطلب الثاني: أقسام الإضافة ودواعي التعريف بها

أولا: أقسام الإضافة

ذكر النحويون للإضافة قسمان على الإجمال: معنوية ولفظية، وتقسم إلى ثلاثة أقسام على التفصيل:

① معنوية تفيد التعريف

② ومعنوية تفيد التخصيص

③ ولفظية.

①- معنوية تفيد التعريف: كقولنا غلام زيد أفادت تعريف المضاف بالمضاف إليه، لأن لفظ (غلام) نكرة، عُرِّفَ بزيد المعرفة.

②- معنوية تفيد التخصيص: وهي التي تفيد تخصيص المضاف دون تعريفه، كقولنا: غلام امرأة، فامرأة نكرة لا يمكن أن تعرف الغلام كيف وهي نكرة، ولما أفادت أمرا معنويا سميت معنوية¹

فالإضافة المعنوية إذن بنوعها سواء أفادت المضاف تعريفا أو تخصيصا هي إسناد اسم لاسم إسنادا غير تام الغرض منه التقييد لا الحكم.

③- إضافة لفظية لا تفيد شيئا من ذلك: والنوع الثالث من الإضافة، إضافة لا تفيد تعريفا ولا تخصيصا وهي عندما يكون المضاف إما:

- اسم فاعل: كضارب زيد .

- أو اسم مفعول: كمضروب زيد .

- أو صفة مشبهة: كحسن الوجه .

والدليل على أن هذه الإضافة لا تفيد المضاف تعريفا:

- وصف النكرة به في نحو قوله تعالى: ﴿هَذَا بَلِغَ الْكِبَرِ﴾ [المائدة:95]، ووقوعه حالا في نحو:

﴿ثَانِي عَطْفِهِ﴾ [الحج:9]...

¹ ينظر ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، مج 3/73-74.

- ودخول (رب) عليه في قوله: يا رب غابطنا لو كان يطلبكم¹

والدليل على أنها لا تفيد تخصيصاً:

أن أصل قولك: (ضارب زيد): ضاربٌ زيداً؛ فالاختصاص موجود قبل الإضافة؛ وإنما تفيد هذه الإضافة التخفيف، أو رفع القبح.

أما التخفيف، فبحذف التنوين الظاهر؛ كما في (ضارب زيد)

أو المقدر؛ كما في: (ضوارب زيد)

أو نون التثنية؛ كما في (ضارباً زيد)

أو الجمع؛ كما في: (ضاربو زيد).

وأما رفع القبح؛ ففي نحو: (مررت بالرجل الحسنُ الوجهُ). أو مررت بالرجل الحسنُ الوجهَ؛

فإن في رفع (الوجه) قبحٌ خلَّو الصفة من ضمير يعود على الموصوف.

وفي نصبه قبح إجراء وصف القاصر، مجرى وصف المتعدي.

وفي الجر (الحسنُ الوجهُ) تخلص منهما.

وتسمى هذه الإضافة في هذا النوع الإضافة اللفظية؛ لأنها أفادت أمراً لفظياً فقط،

أي أن فائدتها تعود على اللفظ وهو التخفيف اللفظي لا غير.²

فالإضافة اللفظية: وتسمى الإضافة المجازية؛ لأنها جاءت لغير الغرض الأصلي من الإضافة.

وإنما هي للتخفيف³ فلا تفيد المضاف تعريفاً ولا تخصيصاً.

وخلاصة الكلام: أن الإضافة بأنواعها ليس فيها معنى الصفة، وكذا ما سنراه في الحديث عن

دواعيها وأغراضها.

¹ ديوان جرير، دار بيروت، بيروت- لبنان، 1406 هـ- 1986 م، ص 492. والبيت يهجو فيه الأخطل:

يا رب غابطنا لو كان يطلبكم لاقى مُباعدةً منكم وحرماناً

² ينظر ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، المصدر السابق، مج 3/ من ص 75 - إلى 79.

³ ينظر مصطفى بن محمد سليم الغلاييني، جامع الدروس العربية، 3/ 209.

ثانيا: دواعي تعريف النكرة بالإضافة

"أما دواعي التعريف بالإضافة الحقيقية فقد ذكر البلاغيون طائفة منها، وفيما يلي بيان لها:
الداعي الأول: يؤتى بالإضافة من أجل الاختصار والإيجاز والمقام يقتضي الاختصار والإيجاز.
ومن الأمثلة:

قول جَعْفَر بن عُلْبَةَ الحارثي:

هَوَايَ مَعَ الرُّكْبِ الْيَمَانِينَ مُصْعِدُ جَنِيْبٍ وَجُثْمَانِي بِمَكَّةَ مُوثِقُ¹

فقوله: (هَوَايَ)؛ أي: التي أهواها، أطلق عليها أنها هي الهوى، وأضاف الهوى إلى ياء المتكلم، فقال: هَوَايَ مع الركب اليمانيين مُصْعِد.

الداعي الثاني: يؤتى بالإضافة حين يتعذر التفصيل أو يعسر كقولهم: أَجْمَعَ علماء المسلمين على رَجْم الزَّاني المحصن.
إذ يتعذر تفصيل علماء المسلمين.

الداعي الثالث: أن يشار بالإضافة إلى تعظيم المضاف أو تعظيم المضاف إليه، ومن أمثلته:
قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدَا ۝١٩﴾ [الجن: 19]؛ إضافة العبد في قوله {عبد الله} الذي هو رسول الله ﷺ إلى الله تعالى تشريف عظيم له، عليه الصلاة والسلام.

ومن هذا الباب الآيات الآتية:

قوله تعالى: ﴿وَيَقْوَرُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ﴾ [هود: 64]

وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةُ اللَّهِ﴾ [الشمس: 13]

وقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَحْنٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ﴾ [الأعراف: 73]

أضاف الله تعالى الناقة إليه عز وجل؛ إضافة تشريف، فهي ناقة فاضلة جعلها الله تعالى آية عظيمة.²

¹ أحمد بن محمد المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، مج 1/51.

² ينظر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 294 - 295.

وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: 125]

أضاف الله تعالى البيت إليه عز وجل إضافة تشريف وتكريم¹

وقوله تعالى كذلك: ﴿وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِنَفْسٍ﴾ [طه: 41]

أضاف النفس إليه إضافة تشريف وإنما عبر بالنفس لشدة قرب موسى عليه من الله عز وجل وقوة اختصاصه وانفراده به²

وسياتي الحديث عن باقي الإضافات كـ (يد الله) و (وجه الله) ... الخ.

الداعي الرابع: أن يُشار بالإضافة إلى تحقير المضاف أو تحقير المضاف إليه، أو تحقير غيرهما.

- فتحقير المضاف كأن تقول عن عِقْدٍ تتفاخر به صاحبتة: هذا عِقْدُ كَلْبِكَ.

- ومن تحقير المضاف إليه أن ترى كوخاً حقيراً فتقول لمن تريد أهانتة: هذا قصرُك.

- ومن تحقير غيرهما أن تقول لمن تريد إهانتة وهو جالسٌ على كرسيٍّ مستكبراً: هذا كُرْسِيُّ الإسكاف.

الداعي الخامس: أن تتضمن الإضافة معنىً مقصوداً يشار إليه بها:

كالتحريض على الإكرام، مثاله: هذا صديقُك يزورك.

أو التحريض على الإهانة والإذلال مثاله: هذا عدُوُّك مقبل إليك.

أو التحريض على البرِّ، مثاله: هذا أبوك الذي ربَّاك.

أو إرادة الاستهزاء والتَّهْكُم، مثاله: كأن تقول لمن تسخر منه: هذا رَئِيسُنَا وزعيمُنَا، مع أنه لا يصلُح إلا أن يكون تابعاً خادماً.³

إذن تبين من ذكر أغراض الإضافة أنها لا تكون لإثبات صفة، وما سنذكره في ضابطها

عند العرب يبين وبوضوح أن الإضافة ضعيفة لا ترقى لأن يستنبط منها صفة، خاصة إذا تعلق الأمر بذات الله تعالى.

¹ ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 2/ 377.

² ينظر ابن عطية - المحرر الوجيز، 4/ 45.

³ ينظر عبد الرحمن حسن حينكة الميداني - البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، 1/ من ص 447 إلى 450.

المطلب الثالث: ضابط الإضافة عند العرب

بعد أخذ تصور شامل عن الإضافة وأنواعها ودواعيها، يأتي السؤال: هل نستدل بالإضافة على صفة من صفات الله تعالى؟

لمعرفة هذا المسألة ننظر هل للإضافة عند العرب من ضابط؟؛ على معنى: هل هناك قاعدة يعرف بها متى تضيف العرب ومتى لا تضيف؟

عند تتبع كلام العرب، وكذا من كتب في الإضافة، نجد أن لا ضابط للعرب في الإضافة، فمتى ما كان ثمة ارتباط جاز إضافة الأول إلى الثاني. فقد أضافت العرب وغرضها التعريف وأضافت وغرضها التخصيص، وأضافت وليس لها غرض لا هذا ولا ذاك، كما رأينا أنفاً، وأضافت وكان غرضها الإيجاز، وأضافت عند تعذر التفصيل، كما أضافت وكان غرضها التشريف أو الاحتقار، كما رأينا ذلك مفصلاً من قبل، بل أضافت ولم يكن لها أي غرض مما سبق، بل أضافت لأدنى ملابسة، أو للمشابهة والتمثيل فقط.

أولاً: الإضافة لأدنى ملابسة

شاع عند النحويين: الإضافة لأدنى ملابسة.

ف " قد يضاف الشيء إلى الشيء لأدنى سببٍ بينهما ويُسمَّونَ ذلك بالإضافة لأدنى مُلابسةٍ، وذلك أنك تقولُ لرجلٍ كنتَ قد اجتمعتَ به بالأمسِ في مكان: انتظرني مكانكَ أمسٍ، فأضفتَ المكانَ إليه لأقلِّ سببٍ، وهو اتفاقُ وجوده فيه، وليس المكانُ ملكاً له ولا خاصاً به".¹

قال الزمخشري: "يضاف الشيء إلى غيره بأدنى ملابسة بينهما، كقول أحد حاملي الخشبة لصاحبه: خذ طرفك. وقال:

إذا كوكب الخرقاء² لاح بسحرة³

¹ مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، 212/3.

² "الخرقاء: اسم المرأة التي في عقلها خفة، وبها حماقة، وكانت هذه الخرقاء امرأة تضيّع وقتها طول الصيف، فإذا طلع سهيلُ، وهي: كوكب بقرب الكوكب الجنوبي يطلع عند ابتداء البرد بالسحر، تنهت لمجيء الشتاء، وفرقت قطنها الذي يصير غزلاً فيما يؤول إليه في قرائنها استعداداً له" (عبد النبي الأحمد نكري، دستور العلماء، المصدر السابق، 107/3). فأضيف كوكب إلى الخرقاء لأدنى ملابسة؛ فقط لأنها تنتبه عند طلوع هذا الكوكب فنسب إليها.

³ البيت بلا نسبة (ينظر الحسن اليوسي، زهر الأكم والأمثال والحكم، 188/2). وتماهه:

إذا كوكبُ الخرقاء لاح بسُحرة سُهيلٌ أذاعت غزلهَا في الغرائب

أضاف الكوكب إليها لجدها في عملها إذا طلع وقال:

إِذَا قَالَ قَدْ نِي قَالَ بِاللَّهِ حَلَفَةً لَتَغْنِي عَنِّي ذَا إِنَائِكَ أَجْمَعًا¹

لملابسته له في شربه، وهو لساقى اللبن.²

ومثاله قوله تعالى: ﴿عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى﴾ [النازعات: 46] "أضيف الضحا إلى: العشية

بالضمير (ها)، لأن التقدير: كأنهم لم يلبثوا إلا عشية، أو ضحا العشية. ولا علاقة هنا تربط المضاف (العشية) بالضحى (المضاف إليه) ربطاً معنوياً إلا علاقة ضعيفة؛ وهي: أن الضحا أول النهار والعشية آخره فقط، طرفان للنهار³؛ أي أنهما في يوم واحد⁴ وأنت ترى ألا علاقة في الحقيقة، إذ بينهما أزمنا أخرى: منتصف النهار، والزوال، والاصفرار مثلاً، لكنها البلاغة التي اقتضت إغفال هذه الأزمنا، وإجراء إضافة لأدنى ملابسة بين المضاف والمضاف إليه.⁵

وجمال وحسن الإضافة كون الكلمة فاصلة⁶ فتكون الآيات في السورة على فاصلة

واحدة؛ التي هي على حرف الهاء المفتوحة من ﴿أَيَّانَ مَرْسَهَا﴾⁷ فتكون على نسق واحد وموسيقى واحدة.

ثانياً: الإضافة للمشابهة والتمثيل فقط

قالت العرب: "يَدُ الْقَوْسِ أَعْلَاهَا عَلَى التَّشْبِيهِ كَمَا سَمَّوْا أَسْفَلَهَا رِجْلًا وَقِيلَ: يَدُهَا

أَعْلَاهَا وَأَسْفَلُهَا، وَقِيلَ يَدُهَا مَا عَلَا عَنْ كَبِدِهَا وَقَالَ أَبُو حَنِيْفَةَ: يَدُ الْقَوْسِ السَّيِّئَةُ الْيُمْنَى؛ يرويه عن أبي زياد الكلابي.

وَيَدُ السَّيْفِ: مَقْبِضُهُ عَلَى التَّمْثِيلِ.

وَيَدُ الرَّحَى: الْعُودُ الَّذِي يَقْبِضُ عَلَيْهِ الطَّاحِنُ

وَيَدُ الْفَأْسِ وَنَحْوُهَا: مَقْبِضُهَا

وَيَدُ الطَّائِرِ: جَنَاحُهُ."⁸

¹ البيت بدون نسبة (ينظر عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، شاهد رقم: 953، 434/11.

² الزمخشري، شرح المفصل لابن يعيش، 163/2.

³ ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز، المصدر السابق، 435/5.

⁴ ينظر ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، 535/2.

⁵ ينظر عباس حسن، النحو الوافي، 22/3.

⁶ أبو حيان، تفسير البحر المحيط، 416/8.

⁷ ينظر الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 99/30.

⁸ ابن منظور، لسان العرب، مج 6، ج 4952/55. مادة (ي د ي)

ومعلوم أنه ليس للقوس يد ولا رجل ولا كبد، ولا للسيف يد، ولا للرجل يد، ولا للفأس يد، إنما أضافت العرب لمجرد المشابهة فقط، فلما كانت يد الإنسان في أعلاه ورجله في أسفله، شبه أعلى الشيء باليد ف قيل عنه : يد، وشبه أسفله بالرجل ف قيل عنه: رجل. وربما سميت كذلك، لأن الإنسان إذا أراد أن يأخذ السيف أو الرمح أو الفأس، أخذها بيده فمكان الأخذ سمي يدا وكان السيف أو الرمح أو الفأس هي التي وضعت يدها في يده.

❖ مثال تطبيقي:

بعد كل هذا التأسيس نأتي إلى الإضافة إلى الله تعالى التي اشبهت على البعض فظنها صفة ولنضرب لذلك مثالا وهو إضافة اليد إلى الله تعالى:

فلو أخذنا على سبيل المثال قول الله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: 64]، فهل لمجرد الإضافة نقول إن لله يدان؟

الجواب: لا، لا تصلح الإضافة دليلا على صفات الله تعالى؛ لما علمنا من ضعفها؛ إذ تعتبرها احتمالات كثيرة.

- فهي مجرد نسبة تقييدية لا حكمية، إما للتعريف أو للتخصيص.
- ولأن العرب تضيف لأغراض رأيناها ليس منها إثبات صفة لموصوف.
- وتضيف كذلك لأدنى ملابسة.
- بل وتضيف لمجرد المشابهة والتمثيل.
- ولأن القرآن الكريم والعرب أضافا أمورا لأشياء يعلم بالحس أنها ليست لها، ومن نازع في ذلك كان نزاعه مكابرة، من ذلك:

● قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكَنَنْبُ عَزِيزٌ﴾ (٤١) لَا يَأْنِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿[فصلت 41-42]، وليس للكتاب يدان.

● وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 66]، وليس للعقوبة، أو للأمة التي مسخت، أو للقرية: يدان؛ لأن معنى يعود عليهن قال تعالى قبل هذه الآية ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُفُّوا قِرْدَةً خَاسِئِينَ﴾ (١٦) ﴿[البقرة:

¹ ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز، المصدر السابق، 1/161.

• وقوله تعالى: ﴿يَنْ يَدَىٰ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: 46]، وليس للعذاب يدان.

• وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا يَتَذَكَّرُ فِيهَا يَدَىٰ رَحْمَتِهِ﴾ [النمل: 63]، وليس للرحمة يدان.

وقالت العرب: يدُ الدَّهْرِ: ويقصدون مدَّ زمانه، وقالت: يدُ الرِّيح: ويقصدون سُلْطَانُهَا¹ وليس للدهر يد، ولا للريح يد.

وقد أضافت العرب اليد لهذه المذكورات لأنها لغتها، فمن جهل لغة العرب وأثبت لله يدا لمجرد الإضافة ومع كل هذه الاحتمالات التي ذكرناها، أبعد النُّجعة. وأضاف القرآن الكريم اليدان لله تعالى والمراد من بسط اليدين الغنى والجود والكرم، وإنما أضاف اليد إليه ووصفها بالبسط؛ لأن عطاء الناس الغالب بأيديهم، فجرى هذا في استعمال الناس في وصف بعضهم لبعض²

من هنا ندرك لماذا لم يكن الصحابة يسألون الرسول ﷺ عن مثل هذه الإضافات، ليس لأنهم اعتقدوا أن لله يدا أو يدان أو أيدي، - وقد أضيفت إلى الله تعالى مفردة ومثناة وجمعا في القرآن الكريم-، أو أن له وجها أو ساقا ... إلخ وسكتوا، إنما فهموا كل إضافة في محلها على حسب سياقها.

فمن السذاجة بمكان أن يظن الإنسان بالصحابة أنهم لما سمعوا قول رسول صلى الله عليه وسلم -مثلا:- «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، وإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربها لصاحبها، كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل»³ فهموها فهما حرفيا، أبدا، وإنما فهموا أن الله يتقبل الصدقة، ويضاعف الأجر عليها.⁴

¹ ينظر ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، مج 6، ج 55/ 4952. مادة (ي د ي)

² ينظر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 451/10.

³ أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب 30: الزكاة- باب 7: لا يقبل الله صدقة من غلول ولا يقبل إلا من كسب طيب- حديث رقم: 511/2، 1344.

⁴ ينظر ابن منظور- لسان العرب، المصدر السابق، مج 6، ج 55/ 4951. مادة (ي د ي)

المبحث الثاني: الصفات الخبرية

يراد بالصفات الخبرية هذه الإضافات كاليد، الوجه، اليمين، الجنب، والساق.. إلخ، (ما اصطلاحوا عليه بالصفات الخبرية) وقد انقسم العلماء في التعامل معها نفيًا وإثباتًا إلى قسمين: مثبت وناف، كما انقسم المثبتون لها إلى قسمين: القائلون بأنها صفات معان، والقائلون بأنها صفات عينية. وسوف لا أناقش من لم يثبتها -أصلا- من الصفات، إنما أولها على حسب السياق كالأشاعرة -مثلا- في قول لهم¹، 'لأنني أرى أن المبحث الأول قد أجاب على ذلك.

المطلب الأول: الصفات الخبرية بين المعنوية والعينية

1- المثبتون للصفات الخبرية على أنها صفات معنوية

أثبتها البعض على أنها صفات معانٍ الله أعلم بحقيقتها، وهو قول الأشاعرة في قول، قال ابن فورك: "فأما ما يثبت من طريق الخبر، فلا يُنكر - أي الإمام الأشعري- أن يرد الخبر بإثبات صفات له تُعتقد خبراً، وتطلق ألفاظها سمعاً، وتحقق معانيها على حسب ما يليق بالموصوف بها، كاليد والوجه والجنب والعين لأنها فينا: جوارح، وأدوات، وفي وصفه نعوت وصفات، لما استحال عليه التركيب، والتأليف، وأن يوصف بالجوارح والأدوات."²

2- المثبتون لها على أنها صفات عينية

ومنهم من أثبتها على أنها صفات عينية على الحقيقة، وهو قول الحنابلة، قال ابن تيمية في رده على الرازي: "...أما الحنابلة الذين التزموا الأجزاء والأبعض فهم أيضا معترفون بأن ذاته مخالفة لسائر الذوات. [إلى أن قال]: وأيضا فعمدة مذهب الحنابلة أنهم متى تمسكوا بآية أو خبر يوهم ظاهره شيئا من الأعضاء والجوارح، صرحوا بأنها تثبت هذا المعنى لله على خلاف ما هو ثابت للخلق، فأثبتوا لله وجهها بخلاف وجوه الخلق، ويذا بخلاف أيدي الخلق،... بالمعنى الذي سماه هو أجزاءً وأبعضاً، فتكون هذه صفاتٍ قائمة بنفسها كما هي

¹ من العلماء من لم يثبتها صفات لله تعالى أصلا- بل أولها على سنن العربية بحسب السياق. وهو قول الأشاعرة في قول:

قال اللقاني: وكل نص أوهم التشبيها ... أوله أو فوض ورم تنزيها

(اللقاني- هداية المريد لجوهرة التوحيد- البيت رقم: 40- ص 49)

² ابن فورك، مجرّد مقالات الأشعري، ص 41.

قائمة بنفسها في الشاهد، كما أن العلم والقدرة قائمة بغيره في الغائب والشاهد؛ لكن لا تقبل التفريق والانفصال؛ كما أن علمه وقدرته لا تقبل الزوال عن ذاته ... وأن هذه الصفات وإن كانت أعياناً فليست لحماً ولا عصباً ولا دماً ولا نحو ذلك ولا هي من جنس شيء من المخلوقات"¹.

ففي قوله (فتكون هذه صفات قائمة بنفسها كما هي قائمة بنفسها في الشاهد) وفي قوله: (وأن هذه الصفات وإن كانت أعياناً). تصريح بأنه يثبتها صفات عينية؛ أي صفات محسوسة يشار إليها.

المطلب الثاني: مناقشة وردود

قبل المناقشة أرى أنه لا بد من تعريف الصفة في اللغة والاصطلاح، أعني اصطلاح علماء النحو والعقيدة؛ ليتبين بها القارئ الخيط الأبيض من الخيط الأسود من هذا المطلب.

أولاً: تعريف الصفة لغة

الصفة في اللغة من الفعل (وصف) الذي معناه في اللغة التحلية، تقول وصف الشيء إذا حلاه ومنه قوله عز وجل: ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا نَصِفُونَ﴾ [الأنبياء 112] أي تنزه -تعالى- عما تصفونه من الكذب²

والصفة قد تكون معنوية وقد تكون حسية : فالمعنوية كالعلم، والحسية كالسواد.³

والصفة تطلق ويراد بها : الأمانة الملازمة للشيء الموصوف⁴.

ثانياً: تعريف الصفة في الاصطلاح

1- الصفة في اصطلاح النحويين هي النعت وقد تكون اسم فاعل نحو: ضارب، أو اسم مفعول نحو: مضروب، وما في معناهما، نحو: رأيت أخاك الطَّريفَ، فالأخ هو الموصوف والظريف هو الصفة⁵

¹ ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية أو نقض تأسيس الجهمية، مج 1/92.

² ينظر ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، المصدر السابق، 383/8. مادة (و ص ف)

³ ينظر ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، مج 6، ج 4850/54. مادة (و ص ف)

⁴ ينظر ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 115/6. مادة (و ص ف)

⁵ ينظر ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، مج 6، ج 4850/54. مادة (و ص ف)

2- الصفة في اصطلاح الفقهاء:

هناك صفة أخرى يذكرها الفقهاء لا بأس من ذكرها وهي: الصفة الحكمية؛ و"الصفة الحكمية يقدر قيامها بمحلها"¹؛ كالطهارة مثلا إذ هي "صفة حكمية [أي ليست وجودية] توجب لموصوفها جواز استباحة الصلاة به أو فيه أو له. فالأوليان من خبث والأخيرة من حدث."²

3- الصفة في اصطلاح علماء العقيدة (وهي مرادنا)

① - الصفة عند الأشاعرة ومن وافقهم: الصفات عند الأشاعرة، أو الصفات الذاتية: هي الصفات التي يوصف بها الله تعالى، ولا يوصف بضدها كالقدرة والعزة والعظمة وغيرها.³

②- الصفة عند المعتزلة ومن وافقهم: مذهب المعتزلة بالإجماع أن الله تعالى لا يوصف بصفة⁴، هروبا من القول بتعدد القدماء، فالصفة عندهم هي وصف الواصف فقط؛ أي قول وكلام الواصف؛ كأن تقول: زيد عالم، أو زيد قادر، أما العلم والقدرة فليست بصفات⁵

أولا: مناقشة الأشاعرة في قولهم عن هذه الإضافات صفات

نناقش الأشاعرة في قولهم هذا من وجوه:

الوجه الأول: إن من شروط الصفة في اللغة العربية أن تقبل النسبة: تقول في صفة السمع مثلا: سميع، وتقول في صفة القدرة: قدير، وتقول في صفة العلم عليم... وهكذا.

أما اليد أو الوجه، أو العين أو الساق... فلا يمكن ذلك. فعلمنا أن هذه الإضافات ليست من الصفات لأن اللغة العربية لا تسعف على ذلك.

¹ حسن رمضان فحلة، ص 33. (الهامش)

² محمد الأنصاري أبو عبد الله الرضاع، شرح حدود ابن عرفة الموسوم الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية، ص 71.

³ الجرجاني، معجم التعريفات، المصدر السابق، ص 114.

⁴ ينظر سميع ذغيم، موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي، 1/687.

⁵ ينظر المصدر نفسه، 1/687.

الوجه الثاني: أثبت الأشاعرة هذه الإضافات على أنها صفات معان الله أعلم بحقيقتها، فأثبتوا لله يدان اثنتان معنويتان، والصفة على مذهبهم لا تتعدد، فعاد هذا القول على أصلهم بالنقض.

الوجه الثالث: لو كان ذلك كذلك لقليل إن لله أيدي كذلك، لأنها استعملت وصفا في الجمع قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ﴾ ﴿٧١﴾ [يس: 71] ولقليل كذلك أن لله أعينا لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: 48]. ولا أعلم أحدا من الأشاعرة - حسب علي - وصف الله تعالى بهذه الصفات، على القول بالجمع.

ولقليل أيضا أن لله تعالى يدا واحدة لقول الله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: 10]، ولقليل أيضا أن لله تعالى عينا واحدة لقوله تعالى: ﴿وَلَوْضَعْنَا عَلَى عَيْنَيْهِ﴾ [طه: 39] ولم يقل أحد من الأشاعرة - أيضا - هذا القيل.

فلم قال الأشاعرة الصفة بالتثنية دون الجمع أو الإفراد، إن كانوا يعاملونها معاملة صفات المعاني؟!!

فالحاصل أن القول بأنها صفات بعيد، ولهذا تجد الجويني يقر بأن بعض أئمة الأشاعرة أثبتوا على أنها صفات وقالوا السبيل إليها النقل دون العقل، ثم بين خطأ هذا القول، ثم استدرك عليهم بأن الصحيح في المذهب أنها تؤول؛ فتحمل اليدين على القدرة، وتحمل العيني على البصر.¹

ثانيا: مناقشة الحنابلة في قولهم أنها صفات عينية

يمكن مناقشة الحنابلة في قولهم هذا من وجوه:

الوجه الأول: يظهر وبوضوح أن هناك خلط بين ما هو معنى وما هو عين عند الحنابلة:

فالصفة: معنى من المعاني، وهي أمر وجودي لا تقوم بنفسها، إنما تقوم بغيرها، كالقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر والكلام وغيرها مما هو صفة معنى.

أما الأعيان: كاليد والوجه والساق فلا يقال: أنها تقوم بغيرها، إذ هي قائمة بنفسها، كما رأينا من قبل في قول ابن تيمية .

¹ ينظر الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، ص 155.

الوجه الثاني: ما يؤكد هذا الكلام، أن ابن تيمية قعد قاعدة في مثل هذه الإضافات مفادها التفريق بين ما هو معنى قائم بغيره، وما هو عين قائم بنفسه، قال ما نصه: "فليس في مجرد الإضافة ما يستلزم أن يكون المضاف إلى الله صفة له، بل قد يضاف إليه من الأعيان المخلوقة وصفاتها القائمة بها ما ليس بصفة له باتفاق الخلق؛ كقوله تعالى: (بَيَّنَّ اللَّهُ)¹، ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ [الشمس:13]، و﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾ [الصفات:74]، بل وكذلك (روح الله)² عند سلف المسلمين وأئمتهم وجمهورهم، ولكن إذا أضيف إليه ما هو صفة له وليس بصفة لغيره؛ مثل كلام الله، وعلم الله، ويد الله، ونحو ذلك؛ كان صفة له."³

فقوله (علم الله ويد الله) جمع بين المختلفات فهذه في واد وتلك في واد آخر، فلا يجمعهما حكم واحد، لأن هذه معنى وتلك عين. أو قل: الأولى (العلم) قائمة بذات الله فهي صفة، والأخرى (اليد) فليست صفة؛ مادام يرى ابن تيمية أنها قائمة بنفسها؛ فكيف تكون صفة وهي قائمة بنفسها؟ إذ لا تكون الصفة صفة، إلا إذا كانت قائمة بغيرها.

فإثبات الحنابلة لهذه الإضافات على أنها صفات عينية لا معنوية، حديث عن الذوات وليس عن الصفات، وإلا ماذا يسمى إثباتهم: اليدين والوجه والعينين والساق والقدمين والذراعين والصدر والجنب والحقو والظهر والفم⁴ والأضراس واللهوات⁵... هل هو حديث عن الصفات أم عن الذوات؟.

الحق أنه حديث عن الذوات بلا مرية، ومن قال غير ذاك فقد كابر بداهة العقل وخالف المحسوس.

¹ وردت في القرآن الكريم بالإضافة إلى ياء المتكلم كقوله تعالى: ﴿وَعَهْدًا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهْرًا بَقِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالزُّكَّافِ السُّجُودِ﴾ [البقرة:125]

² وردت في القرآن الكريم بالإضافة إلى ياء المتكلم كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر:29]

³ ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، مج4/ 415 - 416.

⁴ ينظر الفراء، إبطال التأويلات، المصدر السابق، حديث رقم: 364، 387/2.

⁵ ينظر الفراء، إبطال التأويلات، 214/1 رقم 204.

الوجه الثالث: وإثباتهم لهذه الإضافات على أنها صفات عينية، يلزم من التشبيه والتجسيم، لأن معانيها أعضاء وإن تحاشوا القول بالأعضاء¹، فالقول بالأعضاء والأعضاء تجسيم وتشبيه لازم قريب.

الوجه الرابع: ثم إن القول بأن هذه الإضافات صفات؛ أي الأعضاء، يلزم منه القول بأن لله تعالى صورة وشكلا، وقد صرحوا بهذا في شرحهم لحديث «إن الله خلق آدم على صورته»² وأن الهاء تعود على الله، كما ذكر ذلك الغنيمان مثبتا بذلك الشكل والصورة لله تعالى³

والحق أن الله تعالى منزّه عن الصورة والأعضاء بالإجماع، قال أبو منصور البغدادي: "وأجمعوا على إحالة وصفه بالصورة والأعضاء".⁴

الوجه الخامس: إثبات هذه الإضافات على أنها صفات عينية يلزم منه التركيب بالضرورة، الذي يلزم منه الاحتياج والافتقار. وكل ما كان وجوده متوقف على تركيبه، لا يكون واجب الوجود إنما هو جائز الوجود. كما يلزم منه التجسيم إذ كل مركب لا محالة جسم.

الوجه السادس: ثم إن الصفة تلازم الموصوف كله، ويمكن الإخبار بها عن الموصوف يكون الموصوف مبتدأ ويخبر عنه بالصفة، فتقول: العلم صفة من صفات الله تعالى؛ لأن الله عليم، ولذلك أخبر الله به مستعملا أداة التأكيد (أن) في قوله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 231]، وليس في القرآن هذه الصيغة في إثبات هكذا إضافات؛ بمعنى لا يوجد في - مثلا- واعلموا أن لله يدا.

¹ ينظر العثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد، 90/1

² أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب 45: البر والصلة والآداب، باب 32: النهي عن ضرب الوجه، حديث رقم: 2612، 2/549.

³ ينظر الغنيمان، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، 35-34/2.

⁴ عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 287.

خاتمة:

أكتفي بهذا القدر، وأذكر في خاتمة هذا البحث :

- 1- من خلال استعمالات العرب للإضافة، اعترتها احتمالات كثيرة، فكانت الإضافة شبهة دليل، لأن الدليل إذا كان محتملا؛ كأن يكون لفظا مجملا، أو مشتركا، أو عارضه دليل قطعي، وهو تنزيه الله تعالى عن التشبيه والتجسيم والشكل والصورة والتركيب في قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11] كان شبهة دليل وليس دليلا، كما هو مستند الظاهرية في إثبات الجوارح لله تعالى المنزه عن النقائص¹
- 2- إن أكبر خطأ - في نظري- تسمية هذه الأعيان صفات؛ إذ متى كانت اليد صفة، ومتى كان الوجه صفة، ... إلخ، فالنزاع قائم في اعتقاد ما ليس صفة صفة.
- 3- ليست هذه الإضافات صفات معنوية لأن اللغة لا تسعف على ذلك.
- 4- ليست صفات عينية لعدم القول به لغة والقرآن عربي النزول، ولهذا عامة من تزندق كان بسبب لجهلهم باللغة العربية² -5- القول بأن هذه الإضافات صفات يلزم منه القول بالتشبيه والتجسيم والتركيب .
- 6- دل العقل -أيضا- أن هذه الإضافات ليست صفات لله تعالى. فقد أدركنا وجود الله تعالى بالعقل، وكان الدليل على وجود تعالى الكون المعجز، وأثبتنا له صفات عقلية وهي: القدرة والإرادة والعلم والحياة، بالرجوع إلى الكون أيضا، وهو مبسوط في كتب العقائد، كما أثبتنا له صفات وأخرى سمعية وهي: السمع والبصر والكلام، ودليلها القرآن الكريم، لكنها صفات معان وليست أعيانا فلم يعارضها العقل، فاتفق بهذا العقل والنقل، فعلى هذا على المسلم أن يبالغ في تجريد عقله من علائق الحس والوهم والخيال.³

¹ ينظر الشاطبي، الاعتصام، 53/2 - 54.

² ينظر شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة المقدسي، خطبة الكتاب المؤمل للرد إلى الأمر الأول، ص 63.

³ الرازي، المطالب العالية من العلم الإلهي، 57/1.

قائمة المصادر والمراجع :

❖ القرآن الكريم

- ابن فورك - مجرد مقالات الأشعري- ت: دانيال جيمارية - دار المشرق - بيروت - لبنان - 1987.
- أبو فارس الدحداح- شرح ألفية ابن مالك - مكتبة العبيكان- الرياض - ط1- 1425هـ - 2004م.
- ابن الجوزي، دفع شبه التشبيه، ت: حسن السقاف، دار الإمام النووي.
- ابن تيمية - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - ت: علي بن حسن بن ناصر وعبد العزيز العسكر وحمدان الحمدان - دار العاصمة - الرياض - المملكة العربية السعودية - ط2- 1419هـ - 1999م.
- ابن تيمية - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - ت: علي بن حسن بن ناصر وآخرون - دار العاصمة - الرياض - المملكة العربية السعودية - ط2- 1419هـ - 1999م.
- ابن تيمية- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية أو نقض تأسيس الجهمية- ت: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم - مطبعة الحكومة - مكة المكرمة - ط1 - 1391هـ.
- ابن جزي - التسهيل لعلوم التنزيل - ت: محمد سالم هاشم - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط1 - 1415هـ - 1995م.
- ابن سيده - المخصص - دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان .
- ابن سيده- المحكم والمحيط الأعظم - ت: عبد الحميد هندawi - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط1 - 1421هـ - 2000م.
- ابن عطية- المحرر الوجيز- ت: عبد السلام عبد الشافي محمد - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط1- 1422هـ - 2001م.
- ابن فارس - معجم مقاييس اللغة - ت: عبد السلام محمد هارون- دار الفكر - ط1399هـ - 1979م.
- ابن قاسم المالكي- شرح حدود النحو للأبّدي - ت: خالد فهيي- مكتبة الآداب- القاهرة- ط1- 1429هـ - 2008م.
- ابن منظور - لسان العرب - دار المعارف- بيروت- لبنان .
- ابن هشام- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك- ت: يوسف الشيخ محمد البقاعي - دار الفكر - بيروت - لبنان .
- أبو حيان - تفسير البحر المحيط - ت: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط1- 1413هـ - 1993م.
- أحمد بن عبد الله الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط1- 1417هـ - 1996م.
- أحمد بن محمد المرزوقي- شرح ديوان الحماسة- - ت: أحمد أمين وعبد السلام هارون- دار الجيل بيروت- ط1- 1411هـ - 1991م.
- الجرجاني- معجم التعريفات- ت: محمد صديق المنشاوي- دار الفضيلة- القاهرة.
- الجويني- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد- ت: محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد- مكتبة الخانجي- مصر- 1369هـ.

- الحسن اليوسي- زهر الأكم والأمثال والحكم- ت: محمد حجي ومحمد الأخضر- دار الثقافة- الدار البيضاء- المغرب- ط1- 1401هـ- 1981م.
- الرازي- المطالب العالية من العلم الإلهي- ت: أحمد حجازي السقا- دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان- ط1- 1407هـ- 1987م.
- الزمخشري- شرح المفصل لابن يعيش - ت: إميل بديع يعقوب- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط1- 1422هـ- 2001م.
- السعدي- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق- مؤسسة الرسالة - ط1- 1423هـ- 2002م.
- السنن الكبرى البيهقي - ت: محمد عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط3- 1424هـ - 2003م .
- الشاطبي- الاعتصام- ت: حقق الجزء الثاني: سعد بن عبد الله آل حميد- دار ابن الجوزي- الدمام وفروع أخرى- المملكة العربية السعودية - ط1- 1429هـ- 2008م .
- الطاهر ابن عاشور - تفسير التحرير والتنوير - الدار التونسية للنشر - تونس - 1984م .
- الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ت: أحمد شاكر- مؤسسة الرسالة - ط1 - 1420هـ- 2000م.
- العثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط: 2، محرم 1424هـ
- الغنيمان - شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري- دار العاصمة- الرياض- المملكة العربية السعودية- ط2- 1422هـ- 2001م .
- الفراء- إبطال التأويلات- ت: محمد بن حمد الحمود النجدي- دار إيلاف - الكويت .
- الفراهيدي - كتاب العين - ت: عبد الحميد هندawi - دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط1- 1424هـ- 2003م.
- القرافي، شرح تنقيح الفصول، ت: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط: 1، 1393هـ- 1973م.
- القرطبي- الجامع لأحكام القرآن - ت عبد الله بن عبد المحسن التركي- مؤسسة الرسالة- بيروت - لبنان- ط1- 1427هـ- 2006م.
- اللقاني- هداية المرید لجوهرة التوحيد- ت: مروان حسين البجاوي - دار البصائر- القاهرة - ط1- 1430هـ - 2009م.
- حسن رمضان فحلة- الصلاة المشروعة وأذكارها- دار البعث- قسنطينة- الجزائر- 1407هـ- 1987م.
- ديوان امرؤ القيس - ت: محمد إبراهيم أبو الفضل- دار المعارف- القاهرة.
- ديوان جرير- دار بيروت - بيروت- لبنان - 1406هـ- 1986م.
- ديوان النابغة الذبياني- ت: عباس عبد الساتر- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط3- 1416هـ- 1996م.
- سميع ذغيم- موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي- مكتبة لبنان ناشرون- بيروت- لبنان- ط1.
- شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة المقدسي- خطبة الكتاب المؤمل للرد إلى الأمر الأول- ت: جمال عزون- أضواء السلف- الرياض- ط1- 1424هـ- 2003م.

- صحيح البخاري - ت: مصطفى ديب البغا- دار الهدى - عين مليلة - الجزائر - 1992 م .
- صحيح مسلم - ت: محمد تامر - مطبعة المدني - مصر - ط1- 1429 هـ - 2008 م .
- عباس حسن - النحو الوافي - دار المعارف - مصر .
- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها- دار القلم- دمشق- الدار الشامية- بيروت-ك1- 1416 هـ- 1996 م.
- عبد القادر البغدادي- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب- ت: عبد السلام هارون- مكتبة الخانجي- القاهرة- مطبعة المدني- المؤسسة المصرية - القاهرة- مصر- ط1- 1403 هـ- 1983 م.
- عبد القاهر البغدادي- الفرق بين الفرق - ت: محمد عثمان الخشت- مكتبة ابن سينا- القاهرة .
- عبد النبي الأحمد نكري- دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون - عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص
- علي بن عيسى الرماني- رسالة الحدود - ت: إبراهيم السمرائي- دار الفكر- عمان.
- محمد الأنصاري أبو عبد الله الرصاع- شرح حدود ابن عرفة الموسوم الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية - ت: محمد أبو الأجفان والظاهر المعموري- دار الغرب الإسلامي- بيروت - لبنان- ط1- 1993 م.
- مصطفى الغلاييني- جامع الدروس العربية - المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ط30- 1414 هـ- 1994 م.
- مصطفى بن محمد سليم الغلاييني - جامع الدروس العربية- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ط30- 1414 هـ- 1994 م.